

## التحرير والتنوير

وافتحت الجملة بضمير الجلالة دون اسم الجلالة المفتوح به في الجمل السابقة فجاءت على أسلوب مختلف . وأحسب أن ذلك مراعاة لكون هاته الجملة مفرعة عن أغراض الجمل السابقة فإن جمل فواتح الأغراض افتتحت بالاسم العلم كقوله ( ا □ الذي رفع السماوات بغير عمد ) وقوله ( ا □ يعلم ما تحمل كل أنثى ) وقوله ( إن ا □ لا يغير ما بقوم ) وجمل التفاريح افتتحت بالضمائر كقوله ( يدبر الأمر ) وقوله ( وهو الذي مد الأرض ) وقوله ( جعل فيها زوجين ) . و ( خوفا وطمعا ) مصدران بمعنى التخويف والإطاع فهما في محل المفعول لأجله لظهور المراد .

وجعل البرق آية نذارة وبشارة معا لأنهم كانوا يسمون البرق فيتوسمون الغيث وكانوا يخشون صواعقه .

وإنشاء السحاب : تكوينه من عدم بإثارة الأبخرة التي تتجمع سحبا .  
والسحاب : اسم جمع لسحابة . والثقال : جمع ثقيلة . والثقل كون الجسم أكثر كمية أجزاء من أمثاله فالثقل أمر نسبي يختلف باختلاف أنواع الأجسام فرب شيء يعد ثقيلًا في نوعه وهو خفيف بالنسبة لنوع آخر . والسحاب يكون ثقيل بمقدار ما في خلاله من البخار . وعلامة ثقله قربه من الأرض وبطء تنقله بالرياح . والخفيف منه يسمى جهاما .  
وعطف الرعد على ذكر البرق والسحاب لأنه مقارنهما في كثير من الأحوال .  
ولما كان الرعد صوتا عظيما جعل ذكره عبرة للسامعين لدلالة الرعد بلوازم عقلية على أن ا □ منزله عما يقوله المشركون من ادعاء الشركاء وكان شان تلك الدلالة أن تبعث الناظر فيها على تنزيه ا □ عن الشريك جعل صوت الرعد دليلا على تنزيه ا □ تعالى فإسناد التسبيح إلى الرعد مجاز عقلي . ولك أن تجعله استعارة مكنية بأن شبه الرعد بآدمي يسبح ا □ تعالى وأثبت شيء من علائق المشبه به وهو التسبيح أي قول سبحان ا □ .  
والباء في ( بحمده ) للملابسة أي ينزه ا □ تنزيها ملابسا لحمده من حيث إنه دال على اقتراب نزول الغيث وهو نعمة تستوجب الحمد . فالقول في ملابسة الرعد للحمد مساو للقول في إسناد التسبيح إلى الرعد . فالملابسة مجازية عقلية أو استعارة مكنية .  
و ( الملائكة ) عطف على الرعد أي وتسبح الملائكة من خيفته أي من خوف ا □ .  
و ( من ) للتعليل أي ينزهون ا □ لأجل الخوف منه أي الخوف مما لا يرضي به وهو التقصير في تنزيهه .

وهذا اعتراض بين تعداد المواعظ لمناسبة التعريض بالمشركين أي أن التنزيه الذي دلت

عليه آيات الجو يقوم به الملائكة فأغني عن تنزيهكم إياه كقوله ( إن تكفروا فإن أغني عنكم ) وقوله ( وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن أغني لغني حميد ) .  
واقصر في العبرة بالصواعق على الإنذار بها لأنها لا نعمة فيها لأن النعمة حاصلة بالسحاب وأما الرعد فآله من آلات التخويف والإنذار كما قال في آية سورة البقرة ( أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت ) . وكان العرب يخافون الصواعق . ولقبوا خويلد بن نفيل الصعق لأنه أصابته صاعقة أحرقتة .  
ومن هذا القبيل قول النبي A " أن الشمس والقمر آيتان من آيات أغني يخوف أغني بهما عباده " أي بكسوفهما فاقصر في آيتهما على الإنذار إذ لا يتربص الناس من كسوفهما نفعا .  
وجملة ( وهم يجادلون في أغني ) في موضع الحال لأنه من متمات التعجب الذي في قوله ( وإن تعجب فعجب قولهم ) الخ . فضائر الغيبة كلها عائدة إلى الكفار الذين تقدم ذكرهم في صدر السورة بقوله ( ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ) وقوله ( أولئك الذين كفروا بربهم ) وقوله ( ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ) . وقد أعيد الأسلوب هنا إلى ضوائر الغيبة لانقضاء الكلام على ما يصلح لموعظة المؤمنين والكافرين فتمحض تخويف الكافرين .  
والمجادلة : المخاصمة والمراجعة بالقول . وتقدم في قوله تعالى ( ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ) في سورة النساء .

وقد فهم أن مفعول ( يجادلون ) هو النبي A والمسلمون . فالتقدير : يجادلونك أو يجادلونكم كقوله ( يجادلونك في الحق بعد ما تبين ) في سورة الأنفال .

والمجادلة إنما تكون في الشؤون والأحوال فتعليق اسم الجلالة المجرور بفعل ( يجادلون ) يتعين أن يكون على تقدير مضاف تدل عليه القرينة أي في توحيد أغني أو في قدرته على البعث .